http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (1755) السنة السابعة - الاحد (28) آذار 2010

شـــــؤون تـــنـــحـــتُ فـــــي الـقـلـب

محمد سعيد الصكار
mohammed_saggar@yahoo.fr

قررتُ أن أمنح نفسي عطلة عن الكتابة، تجنّباً للهذر والإطالة، والتماساً للراحة التي صارت عصيّةً عليّ، بعد الخوض في شؤون العراق الثقافية والسياسية والاجتماعية بشكل متواصل منذ سنتين ونصف في الصحف العراقية والعربية، كنت خلالها متوهج العواطف والأعصاب، أكبس على غضبي لئلا يُفلتَ فيأتيني بما لا أحب. وإذ كنتُ دقيق الإختيار للقنوات التي أطل منها على القارئ، صيانةً لما أكتب، واحتراماً لقرائي في هذه القنوات؛ اقتصرت كتاباتي على عدد قليل من تلك القنوات، من بينها (المدى).

وكنت على غضب شفيف على صديقي التاريخي، فخري كريم، وكان لمزاجي الشائك والحساس شأن في خصوصية علاقتي بفخري، وهو مزاج يعرفه فخري كريم أكثر من سواه، كاد يبعدني عن (المدى) وفخري معاً. ولولا الكبس على الغضب، وهو غضب (إخواني) لا يصل حدّ القطيعة في كل الأحوال، لكان لنا شأن لا نحبه ولا نسعى إليه؛ وكنتُ خسرت بسببه صداقات وعلاقات طيبة مع كثير من القراء، بفضل ما نشرته في (المدى).

أعدتُ على نفسي السؤال الخالد: ((لمن يكتب الأديب))؟ لقارئه أم لفخري كريم المغضوب عليه من قبلي (إخوانياً) والمهدّد بالمقاطعة؟ قلتُ إن (المدى) مداي، قبل أن تنهض ويتمدد أفقها وتصبح بجهد فخري ممتدّةً على هذه المساحات. فما معنى أن أغضب عليها وعلى فخري وهما يتعاملان مع كتاباتي بمنتهى التقدير؟ وكيف أشكر قرائي وأتناقش وأتسامر معهم، إذا غادرتُ خيمة (المدى)، وأنا ممن يختار قنوات أفكاره، ويُعنى بها؟

أطفأتُ غضبي على فخري ومزاجه، وأجّلتُ مضاعفات مزاجي الشائك، وقررت الإنسحاب من دائرة القول، وتعطيل مساهماتي في جريدة (المدى)؛ وهي مساهمات متواضعة ما كنت أظن أن تجد لها صدى، ولكنها وجدت ذلك الصدى، وجاءتني بمداخلات ورسائل وضعتني بين قوسين؛ أن أواصل علاقتي بالقراء، رغم غضبي الشفيف على فخري كريم، أو أن أريح نفسي وفخري والقراء مما أهذي به.

قررتُ أن أنفرد بقرائي ومشاكلهم التي تستريح معي على المخدّة ؛ وهي مشاكل تتناسل في وعيي، ومنها ما لا يغادره.

ولكن ما وجه هذه المشاكل، وما أبعادها بعد أن جرت الإنتخابات بما كنا نأمل من وعي العراقيين الذي كان موضع تقدير نستحقّه ونشكرهم عليه.

المشاكل القادمة التي نتابع أبعادها لا تبعث على المسرّة، فما زال شبح التحاصص في اقتسام المواقع السيادية يطغى على مجمل الكتل السياسية، ويكذّب دعاوى ما قبل الإنتخابات، فما الذي ننتظر؟

في مقال سابق لنا عن (هذه البرمكيات) التي خصصت أموالاً طائلة، وامتيازات خرافية للنواب وأتباعهم، لا سابق لها، عجبنا من رصد تلك المخصصات التي تأخذ من ميزانية الفقراء ما هم في حاجة إليه.

واليوم ماذا نقول في نصف مليار دولار صُرفت على وسائل الدعاية والإعلان للمرشحين في هذه الإنتخابات التي نعتزّ بها؟

نصف مليار دولار، عدّاً ونقداً للدعاية لمرشحين لم يفز أكثرهم ! والتي عادت إلى أيدي الحواسم الجدد الذين يبيعون مخلفات الإعلانات الضخمة ويتاجرون بها.

ولكنني، من جانب آخر، سُررتُ بما أتاحه الله لزملائي الخطاطين الفقراء، في العادة، من هذه الموجة الإعلانية المجنونة، ويا ليتنا كنا معهم !

ولكن التساؤل لا يغادرنا عمّا إذا كان هناك وعي من نوع ما لحاجة الوطن الرازح تحت مشاكل البطالة ومشاكل الكهرباء والصرف الصحي والمواصلات وغيرها مما يعرفه الجميع ويتمسكون بالعروة الوثقى لوعود الكتل السياسية؟ كم من المستشفيات والمدارس ومعاهد العلم والبيوت المهدومة والأهوار المدمّرة، والطرقات المتعثرة والأنهار الملوّثة، كان جديراً بهذا الإنفاق الخرافي اللامسؤول، للإعلانات؛ حتى ولو كانت من مصادر غير عراقية؟

لا نستعدي أحداً على أحد، ولكننا لا بدّ من أن نتساءل، وننتظر الجواب ممن له شأن في ذلك؛ خصوصاً في ما يتعلق بثرواتنا الطبيعية والإنسانية، وحاجاتنا الحياتية. من أين جاءت هذه الملايين وما أوجه صرفها، وما هو الوازع الوطني و الأخلاقي لتقبّلها وإنفاقها بهذا الشكل البرمكي المخجل على ظروف ليست في موضع الاستحقاق.؟!

أنا اليوم أتابع المرحلة الإنتخابية الأولى للإنتخابات الفرنسية التي ظهرت نتائجها قبل أن أتعشى، في حين ننتظر نحن نتائجنا بعد أسابيع؛ وأتساءل: أما كان من الممكن أن تخضع هذه الموارد للرقابة والتوجيه، ويخصص جزء من النصف مليار دولار المصروفة على الدعاية، لشراء أجهزة متطورة تأتينا بالنتائج يوماً بيوم، بل ساعة بساعة، ولا تحرق ما تبقى من أعصابنا؟

أدري أنها أسئلة ساذجة لا تغيب عني وعن القراء، ولكنها تحفر في القلب، ولابدّ للمصدور من أن ينفث.

الآن بدأت عطلتي مع (المدى)، ومع غيرها، وبدأت معها عطلة قسرية مع المستشفيات والأطباء التي تريد أن تُعيد الشيخ إلى صباه، وهي عطلة قد تطول، ولا أظن أن يسعف العمر بنهاية لها.شكراً لكم، وعذراً على هذه الحالة الخاصة التي جئتكم بها.

وداعاً.

متابعة

مُستخدماً خامات محلية بطريقة الكولاج ...

التشكيلي فريد رجب .. يُقيم معرضه الشخصي السابع

بابل / بشار عليوي

على قاعة مُديرية النشاط المدرسي - بابل ، أقامَ الفنان التشكيلي (فريد رجب) ، معرضهُ الشخصي السابع.

وتضمن المعرض أكثر من ٣٠ عملاً فنياً تمحورت جميعها حول موضوعة " الشناشيل " المحلية بوصفها جزءاً من الذاكرة المكانية الأثيرة للمُجتمع . عن معرضه هذا ، تحدث الفنان التشكيلي " فريد رجب " لـ(المدى) قائلاً:

يُمثل هذا المعرض بالنسبة لي ، تحولاً جديداً في إسلوبي الشخصي ، حيثُ كرستهُ لعرض نماذج فنية من الماكيتات الفنية حول موضوعة واحدة هي الشناشيل باعتبارها جزءاً من التراث الشعبي المحلي وقد حاولتُ من خلال أعمالي المعروضة ، أن أعطيَ دلالة أخرى لهذه الشناشيل عبرَ عصرَنتها بوضعها في حالةً جديدة هي الشرفات العراقية بالإعتماد على دالتي التكوين والألوان التي إرتكزت عليها سينوغرافية الأشكال المعروضة.

وهُنا يُمكنُني القول أنهُ بالإمكان الإستفادة من النماذج المعروضة لغرض إنجاز جداريات تُزين ساحات مدينة الحلة . وخلال تجوالنا في المعرض ، إلتقينا بالناقد " زُهير الجبوري " الذي تحدث عن إسلوبية فريد رجب في معرضه هذا بالقول ... يُشكل المعرض الشخصي السابع للفنان التشكيلي فريد رجب ، إنعطافة في إشتغاله.

بعد أن تعودنا أن نُشاهد لهُ أعمالاً إشتغل فيها على المادة اللونية المُتاحة منها البنتلايت والخلفية التي تركزت حول الخامة الخشبية وما الى ذلك ، إلا أنهُ وفي هذا المعرض إستطاعَ أن يُبرز الثيمة الأساس داخل جسد اللوحة ، حينما جعل لها بروزاً واضحاً من خلال هذهِ الأشكال المُجسدة التي أعطتْ تَشكُلاً جديداً في عملية التلقي.

كما نجد أيضاً مُغايرة في التعاطي مع اللون وإستطاع أن يُعوض ذلك من خلال النقوشات ومن خلال المنمنمات التي هي بلا شك أدوات بسيطة في عملية التناول ، لكنها دخلاً ضمن موروثه التشكيلي ليُعطي صبغة جديدة للأشكال الكولاجية المعروضة . فريد رجب إستطاع من خلال هذا المعرض ، أن يخلع ثوبه الأسلوبي الذي تنمطَ به.

وإلتقينا أيضاً بالفنان التشكيلي " سمير يوسف " فقالَ ، هُناكَ تحول جذري في إسلوب الفنان فريد ، جسدهُ معرضهُ هذا . فمن خلال تجربتي ومُجايلتي لهُ وجدتُ هذا التحول. نجد في إعمال هذا المعرض إستفادة قصوى من المادة الموجودة في البيئة المحلية ، حيثُ عمدَ الفنان الى إسلبتها بالكامل لصالح مُنتجهِ الفني.

أما الفنان د. فاخر محمد ، فقالَ تعرفتُ الى فريد رجب في بداية السبعينات ومازال مُتشبثاً بصفتين لازمتاهُ طيلة هذه الفترة، حُسنُ الخُلُقْ ، وحُبهُ للفن والرسم . فقد جمعَ في فنه بينَ رؤيته لمكانين ، أولهُما جُذورُ المكان الأول، الولادة، خانقين الطبيعة والبساطة وجمال الأشياء، والثاني الحلة بأزقتها وشطها وبساتينها ونقاش مُثقفيها.

فالبرغم من السنوات الطوال التي عاشها في هذه المدينة ، إلا أن ملامح الرؤية الى الطبيعة تكاد تكون مُشتركة بين تلال مدينة خانقين وأجوائها وأجواء مدينة الحلة.

الفن والرسم لدى فريد رجب يُشبه حلماً يتعايشهُ ، ثمة هُدوءاً وسلاماً داخلياً يتعايش مع مكانهُ ، شئٌ جميل أن نرى فناناً لم تُثقلهُ السنوات الطوال في نشاطه وحُبه للرسم.

أعتقد بإن سعادته الروحية مُستمدة من تعلقهُ بهذا الحلم الجميل. إنهُ يراهُ بديلاً للموت واللاجدوى والعبث الذي يضرب الروح بن الفينة والأخرى . يُذكر أن الفنان فريد رجب من مواليد خانقين ١٩٤٤ ، خريج دورة تربوية ، وهو من تلامذة الفنان الراحل عبد الوهاب الوندواوي ، لهُ مُشاركات دائمة في المعارض العراقية ولهُ أعمال في معرض إنقرة للفنون التطبيقية.

حصل على شهادة تقديرية من معرض الملصق في هنكاريا ، شارك في معرض الفنانين الشباب في جيكوسلفاكيا . أقام ستة معارض شخصية ، وهوَ عُضو نقابة الفنانين العراقيين.

مختارات شعرية للشاعر العراقي صلاح حسن في القاهرة

القاهرة/ خاص

صدرت عن دار الحضارة للنشر والتوزيع في القاهرة مختارات شعرية للشاعر العراقي صلاح حسن تحت عنوان (أنا مجنون لسبب وأنت عاقل بلا سبب) تصدرتها مقدمة طويلة بقلم الناقد والمفكر العراقي خضير ميري.

المختارات جاءت بحجم فوق المتوسط وبواقع ٢٤٠ صفحة وتضم نصوصا من أعمال الشاعر التي صدرت في أوقات مختلفة مثل (المحذوف في عدم اتضاح العبارة) الصادرة في بيروت عام ١٩٩٦ و (خارج بوصلة عاطلة) الصادرة في هولندا عام ١٩٩٧ و (النوم في اللغة الأجنبية) الصادر في بغداد عام ٢٠٠٥ و(جزع بابلي) الصادرة في زيورخ عام ٢٠٠٧ و (الخروج من أور) الصادر في هولندا عام ٢٠٠٧ . هذا بالإضافة إلى عدد من النصوص الجديدة التي لم تصدر في كتاب .الناشر اختار جزءا من المقدمة للغلاف الخارجي وجاء فيها: (لا بأس في أن المختارات التي بين أيدينا تتيح لنا وقتا كافيا لتقليب العشب على الطبيعة ومتابعة مسيرة عصية لفهم شاعر متفرد في جيله كان سباقا إلى مساءلة الأصول وتمحيص المعاني وغربلة الشعري في فخاخه الأولى وإساءة اللاعبين السابقين عليه حتى أردوه قتيل المعقولية ، مشروطا بالأسباب الكبرى والتوصلات السهلة.

كان صلاح حسن يرمي هذا الجنون في ملعب اللغة متلفعا بصعلكة خاصة تأخذ من البارات الرخيصة والمقاهي المعتمة والشوارع الفارة من حذائه الشريد على أرصفة بغداد وحروبها الباذخة وشعاراتها الصاخبة، متقلبا على طاولات التحرير في صحف العاصمة غير مأخوذ بالعجالة والرطانة وكلام الكبار.

يكسبه شعره الفضي إيقونة للتعريض بعمره الشعري المبكر ، ومن هنا فأن العودة إلى المخزون الشخصي في التجربة والحيرة والسؤال لا يكاد يمكن إسقاطه من المعين الشامل للسؤال الوجودي المكثف في مسيرته الشعرية التي راحت تتضايف على نفسها بنسيج خاص لا يكاد يشبهه أحد .

عن جيل الثمانينيات الشعري في العراق .. قراءة في تجارب شعرية

علي الامارة

(١-٢)

كنت قد نشرت في (المدى) قبل مدة دراسة عن جيل الثمانينات الشعري في العراق وها انا اليوم اقدم قراءات لبعض التجارب الشعرية التي تجمعها ثيمة واحدة هي ترسبات الحرب في القصيدة

مقدمة : الثقافة العراقية وفي مآلاتها الاخيرة تبحث عن نوافذ لتحقيق ثقلها النوعي وذاتها التاريخية واستمرار حضورها الابداعي في المشهد العراقي العام ، وهذه النوافذ تكون باتجاهين الاول مع نفسها في الداخل عبر توحدها او تماسكها في خطابها الثقافي ضمن ارضيتها الوطنية المشتركة ، والاتجاه الاخر هو فضاؤها الخارجي سواء عند ادبائنا ومثقفينا في الخارج او خطابنا الثقافي المشترك معهم ، أي الخطاب الثقافي الداخلي والخارجي الموحد .. وارى ان موضوع توحد الثقافة ورصانة ذاتها تتجسد في مستويات عدة من اهمها عدم ذوبانها في الخطاب السياسي او تبعيتها له .. بل ان الاديب هو الذي يصنع فتحه التاريخي المتقدم على الخطابات الاخرى لان التاريخ في النهاية يكون نصا مكتوبا .. وان فتح المثقف العراقي يكمن في تجاوزه لكثير من العوائق التي تحد من وحدته الثقافية وبالتالي وحدته الوطنية وان يعلو على كثير من الماضويات والقناعات والاراء المسبقة وان يستمع الى الاخر ويجعل من الثقافة المجس الاول الذي يرتقي الى منصة المصالحة والتسامح وجعل مصلحة العراق هو الهدف الاول والغاية الاسمى لسعيه وخطابه الثقافي .. و من باب حوار الحضارات والتواصل مع ركب الانسانية المشترك وفي اهم ما يمثلها وهو الادب بافاقه الواسعة .. سنحاول هنا ان نقف عند فضاء حدث ثقافي مهم اقامته رابطة القلم الدولية في مؤتمرها الاخير الثاني والسبعين والذي اقيم في برلين عام ٢٠٠٦ وان نستقرأ شعاره الاثير وهو (الكتابة في زمن اللاسلم) وننتقل من هذا الفضاء العام الى فضائنا العراقي الخاص ... قراءة في مداخلة غونتر غراس يستثمر غونتر غراس شعار المؤتمر.. ليعبر عن افكاره المستمدة من واقع تجربته وارائه حول موضوع ((الكتابة في زمن اللاسلم)) وهو عنوان الشعار الذي اقيم تحته المؤتمر ، ليزيح ظلال الشك عن العيون التي ترى ان السلام قد ساد في العالم وان زمن الحروب قد صار شيئا من ذاكرة العالم على اساس الابتعاد الزمني عن حيثيات الحربين العالمتين الاولى والثانية والتي كانت فيهما اوربا محورا رئيسا وهاما للصراع كما كانت ميدانا عريضا له .. لكن شخصية روائية وشعرية واقعية لا تسحبها الاحلام الى مناطقها الخادعة الوهمية مثل شخصية غراس لا تخدعها الصورة البراقة للسلام وانما تعنى بقراءة ما بين سطور الزمن وخلف كواليسه .. فتحس بغلالة الحرب الخفية المدفونة في غيب الاحداث وتفاعلاتها ومآلاتها فتستقرا الافق بمعطيات البصر والبصيرة فيرصد الحرب من زاوية اخرى هي زاوية اللاحدوث المرئي او الحدث اللامرئي فالحرب كما يراها غراس ليس شرطا ان تتخذ شكل المواجهة المباشرة وفوهات الاسلحة المفتوحة النيران .. بل ان الحرب (كثيرا ما لبست قناع – السلم – او – تطبيع العلاقات – وجلبت الموت دائما ..) لان كثيرا من تمظهرات الحرب قد يتخذ اشكالا – سلمية – الا ان نتائجها الفعلية هي نتائج حرب سواء على مستوى اخضاع شعوب او مصادرة قراراتها وحرياتها او على مستوى التجويع .. فالحرب انثى حرام تستطيع ان تتخذ ازياء عدة وغالبا ما تكون هذه الازياء براقة لامعة مخادعة تسير تحت ظلال مسميات انسانية مقنعة – بكسر النون او بفتحها وتشديدها – فاوربا التي تنعم بسلام ظاهر وقد نفضت عن جسدها اخر غبار الحربين الثقيلتين لا يخدع –سلامها – غراس فيتخذ منها مثالا حيا للحرب الدفينة او استراحة المحارب او المحرك الخفي لحروب (راديكالية او استعمارية) خارج مجالها الترابي (اما لتجريب سلاحها او لمصالحها الفردية) بل ان الاختراعات والعمل عليها في زمن السلم – الاستراحة الحربية هي غبار حروب قادمة وان كانت هذه الاختراعات قد انبثقت من نية الاهداف الانسانية السلمية غير ان استغلالها وتفعيلها في المطبخ الحربي خلف كواليس المرأى العام للعالم المعاصر .. هو ما يثير هواجس ومحاوف امثال غونتر غراس ويسهم باستمرارية الحروب الكونية وكأن المحارب الذي نزع خوذته ايام الحرب من على راسه وضعها داخل صدره لتنبض مثل قلب اخر يزاحم قلبه الانساني بقلب موحش ووحشي يشبه الخوذة التي يذكر منظرها بالحرب على الرغم من دلالتها الوقائية الدفاعية لكنها في الوقت نفسه دلالة هجومية لان المهاجم نفسه يريد ان يدافع او يقي هجومه من ردة الفعل ازاء الاخر .. بل ان غراس يرى ان الحرب قد سادت دائما (وحتى مواثيق السلم نفسها كانت تخفي بحسن نية او بسوئها الخلايا الجرثومية لحروب قادمة ..) وبهكذا تصور يسحب غراس الفعل السياسي الى الفعل الحربي ليكشف حقيقة ان الذي يمكنه السيطرة على الزمام السياسي يمكن بواسطته قيادة القرار الدولي او سحبه باتجاه ارادته السياسية فهو غير محتاج الى قيادة حرب ظاهرة . ومن هذه الزمامات هو زمام سوق التغذية الذي يمكن بواسطته لَي يد الارادة التي تقف امام ارادة المسيطر .. وغيرها من الزمامات الاخرى التي تمرر بواسطة فكرة العولمة او المصالح الاخرى .. ولكن اين الكاتب او الاديب من كل هذه الحروب الخفية ومن مسيرة اللاسلم العالمي الذي يسير مشروع الكاتب تحت ظلال هذه المشروع المستمر .. واين تقف الكلمة الادبية الحرة من هذه العواصف السياسية الدفينة .. يستشهد غونتر غراس ببعض القصائد لشعراء المان شباب في حينهم عد قصائدهم مع روايات اخرى رواسب ادبية ظهرت في زمن ما بعد الحرب العالمية الاولى بمدة طويلة ولكن هذه الرواسب تتخمر في الذات الشعرية او الادبية .. وتتمظهر على اشكال نتاج ادبي يعبر عن المشاعر المكبوتة او اسميه الامتداد النفسي للحرب داخل النفس الانسانية فيذكر للشاعر اندرياس غريفيوس الذي كتب قصيدته عام ١٩٣٦

دموع الوطن

نحن الان كلنا

نعم كلنا مدمرون

مرات حول الارض

منذ ان وصل كوكب مارس القاسي الى بلدنا المانيا

وكانت الانطلاقة عن طريق هذه الحرب الثقيلة

او الشاعر سيمون داخ الذي يذكر بحجم الدمار والاتلاف الذي حل بمدينة بورغ

(اين اترك المانيا ؟

اين انت ؟

انت غيمة للقتلة

الذين اصبحوا جلاديك لمدة ثلاثين سنة

فيعد غونتر غراس هؤلاء الشعراء باحثين في زمن اللاسلم عن استعارات وصور شعرية معبرة عن حجم الدمار الذي خلفته الحرب العالمية الاولى وافرازات الحروب .. الدمار الذي حل بالمدن والارواح .. فيقول غراس (كانت الارض بالنسبة لهم خرابا) ثم يذكر غراس بالكتاب الذين لم تفارق مخيلتهم مشاهد الحرب مثل تولستوي (الحرب والسلم) او روماركيز (لا جديد في الغرب) وسيليتس (رحلة الى نهاية الليل) وكلوكس (ستالينغراد) كما ان غراس نفسه طالما صرح بان الحرب عالقة في نفسه وصورتها لا تفارق خياله وذكرياته .. وهذا ما ذكره في اهم رواياته منها (طبل من صفيح) ..

شعوب تسكن المناطق الوعرة

الايقاعات السريعة

حيث السيوف مطلية بالدماء

اوقفوا النزيف وسقوط الجثث

لقد اخرج جنود الاحتياط

الصوامع على الجمر

والكنائس لم تغير دينها

حيث ان هاجس الحرب وافرازاتها وظلالها الثقيلة واضحة في هذا النص على الرغم من كتابته في زمن اللاحرب لكنه زمن اللاسلم ايضا او زمن الاستراحة بين الحروب كما يسميه غراس ... والملاحظة المهمة هنا ان هذا الشاعر الشاب في ١٩٣٦ لم يشارك بالتاكيد في الحرب العالمية الاولى لكن الشاعر بؤرة اجتماعية ونفسية جاذبة للاحساس النفسي العام ازاء الاحداث الكبرى و لا سيما الحروب منها فالشاعر هنا يتكلم بضمير شعبه او مجتمعه أي بالانا الجمعية ويمثل الاحاسيس الدفينة التي تتكلم بها الملامح والهموم الثقيلة التي ترزح تحتها النفوس التي عاشت الحروب وويلاتها أي ان الشاعر يتكلم بلسان وطن وليس بعمره او لسانه الخاص .. كذلك الشاعر مارتين اونس الذي يذكر في نصه :

الشمس الكبيرة دارت بخيولها الجميلة ثلاث

قناديل

كتابة السيرة بين شرقيتنا وغربيتهم

لطفية الدليمي

سألني صحفي عربي في حوار عن السيرة : لماذا يندر لدينا أدب السيرة مع أن القراء يتلقفون كتب السيرة والمذكرات وتنفد قبل سواها من أنماط الكتابة الأدبية؟ ولماذا تبدو كتابة السيرة أمرا محرجا وشبه محرم في ثقافتنا؟يخيّل إليّ أننا أبناء المشارق، وأبناء القارة الآسيوية بشكل عام، نحيا في فضاء طبيعي تغمره فيوض الضوء على امتداد الفصول، وإن الشمس في الشرق تعري كل ما يحيط بنا وتضعه تحت طائلة النظر، وكل ما حولنا من تفاصيل الحياة اليومية معروض ببساطة ودون حذلقة من أحد، بمعنى أن حصتنا من الضوء أكثر مما يجب لحياة إنسانية تتوق الى شيء من السرية والخفاء الجميل، وإننا معرضون لانتهاك الضوء الدائم لنا وبالتالي لفضول جميع من يجاورنا ، لذا يعمد الشرقيون الآسيويون من معتنقي ديانة الزن والبوذية بشكل عام وكذا الهندوسية وفي الثقافتين العربية والإسلامية، إلى التوجه نحو الأعماق الجوّانية التي يعدونها مكامن لكنوز الأسرار، ويرون أن عليهم حمايتها من فضول البشر ليوازنوا بين المعلن المباح والمكنون المصون، ويحوزوا عناصر تخصهم وحدهم ولا يحق لسواهم اقتحام مظانّها، ومن جانب آخر تغلب على الثقافات المشرقية والإسلامية النزعات الجوّانية –من صوفية أو غنوصية– وتنطوي النزعتان الصوفية والغنوصية بتعدد طرائقها على مواقف معارضة للسائد من نظم الحكم والسياسة أو الفهم السطحي للنص المقدس، لذا عمدا إلى كتمان فكرتهم باعتبارها سرّا خشية التأويل المضاد فتجدهم يحيطونها بقدر كبير من الغموض وهو سمة الأنساق العرفانية، وتعمد الفرق السرية– بخاصة الشرقية المناقضة للديونيزيوسية وتلك الدينية التي تجتهد لفهم الدين عبر تفسيرات عقلية،تعمد الى سلوك طريق التقيّة وصون الفكرة والسر مخافة بطش الحكام وذوي الفكر المناهض لها، ما يؤثر في التكوين النفسي والروحي للفنانين في هذه الأوساط المنغلقة على أسرارها.. فإذا علمنا ان الفن يرتبط ارتباطا عضويا بالتصوف ويتسم بالغموض ذاته، ويتقارب معه في طرائق التعبير، أدركنا أهمية النزعة الجوّانية والانطواء على الأسرار وعدم البوح بها للعموم.. وفي ظني ان هذه المؤثرات المركبة لها فعلها في أداء الفنان الكاتب الذي يحتفظ بحصيلة ثرّة من الأسرار الشخصية المصونة من فضول الآخرين..أما الثقافات الغربية، ولا أقول الثقافة –لان ثمة العديد من الثقافات في الغرب– فان موضوعة الاعتراف الذي يعد احد اهم طقوس الإيمان – الكاثوليكي تنحت في عمق الشخصية الإنسانية هناك وتشكلها وتدعوها دائما لتفريغ ما يتراكم في أعماقها من مشاعر وانفعالات وخطايا وأفعال تستدعي الغفران والتطهر لنيل الراحة والقبول في المجموعة البشرية المتفقة على المواصفات العامة للسلوك البشري السوي.. وتنبني الشخصية الإبداعية في مثل هذه الأوساط على ضرورة البوح والانفتاح وكشف مكنونات النفس لتفريغ الشحنات السلبية من المشاعر والأفعال التي تثقل كاهل المرء، فيدعها الإنسان بين يدي الكاهن في الأداء الديني– او يتيحها للعامة في السياق الإبداعي فالكاتب هناك لا يضيره قط أن يحكم عليه بخرق التقاليد أو الخروج عن الأنساق المقننة للحياة المجتمعية في عصر ما، ومن جهة أخرى، يختلف الإنسان الشرقي عن الغربي في كونه معنيا بقبول المجتمع له وهو مجتمع تتحكم فيه العشائرية وكثير من الرؤية السلفية للإنسان وتفاصيل حياته اليومية مثلما تؤثر فيه المواقف المحافظة لمن يتعامل معهم او يعيش بين منظوماتهم ، كشرط لدوام الأمان وسط الجماعة التي ينتمي إليها، بينما يعنى الغربي بفرديته ونزوعه لخرق التقاليد الراكدة، فيقدم على البوح والكشف ويعلن أسراره وخفايا ذاته الحرة التي لا تدين بالولاء للجماعة ولا يهمها القبول او الرفض، مايهمها في المقام الأول ان المبدع يتجه الى فضاء الآخر ويقتحمه ويقدم له وجبة شهية من الاعترافات والأسرار والأفعال التي تقع في عداد الفضائح، ليس بدافع التطهر وطلب المغفرة، إنما بقصد التعبير الحر عن النفس وخفاياها عن طريق الفن الذي انفرطت علاقته بالتصوف عندما تحول إلى أسلوب لقول السر وإباحته للعموم ، وتبقى موضوعة أدب السيرة –برأيي– مرهونة بهذه المؤثرات التي تلقي بظلالها على الشخصية الإبداعية في الشرق الجوّاني المفعم بالأسرار، والغرب المنفتح القائم على الاعتراف، لقد كتب بعض الأدباء العرب بعضا من سيرهم ومذكراتهم لكنها جاءت انتقائية وخاضعة للتنقيح والتجميل المفرط بسبب من خشية الأحكام القيمية على حيواتهم ..